على وقف مؤكد لاي تقدم مفترض للقوات الصهيونية ولكن مجرد وجود قوات مسلحة في المدن كان يستدعي من العدو اعداد قوات تعادل ثلاثة اضعاف القوات التي يمكن ان يعدها لاكتساح منطقة يحميها جيش نظامي كالجيش الاردني تمنع عنه الذخيرة ساعة المعركة ويحرم عليه الدفاع عن شرف الوطن ، لانه في الاصل اعد ليكون قوة قمعية ضد الحركة الشعبية . هل تحتاج هذه النقطة الى براهين ؟ يخيل الى المرء أنها من البديهيات ومع ذلك فلنتذكر ان الذي أربك الجيش الالماني في روسيا هو المقاومة الشعبية المسلحة (الانصار) وكذلك في يوغوسلافيا واقطار أوروبية أخرى خلال الحرب العالمية الثانية . ثم ان حادثة الكرامة (آذار ١٩٦٨) برهنت بما لا يدع مجالا للشك ان الجيش الاسرائيلي فقد جزءا كبيرا من فاعليته حين تورط في حرب شوارع مع مقاتلين فدائيين مصرين على المواجهة .

ب — وعلى المستوى السياسي كان وجود المليشيا الشعبية المسلحة في المدن والقرى الاردنية يشكل قوة ضاغطة على النظام الملكي كان من أول مظاهرها التخفيف من وطأة القمع والارهاب الذي ظلت تمارسه اجهزة النظام المختلفة ضد المواطنين طوال ربع القرن الماضي . وفي ظل الثورة الفلسطينية تمتع المواطنون بقسط اوفر من الحرية والحركة وهذا ما يفسر الحقد العارم الذي أظهرته قوات القمع الاردنية ضد الفدائيين والشعب دون تمييز ، اذ أن هذه الاجهزة اعتادت منذ أن انشئت امارة شرق الاردن ان يكون الشعب ماشية حلوبا لها يدفع باستمرار من ماله وحريته وكرامته ، وهنا يجب ان يتم التأكيد على ان قوات القمع من جيش ومخابرات لم تميز بين فلسطيني واردني عند الهجمة الاولى وانما دكت جميع الاحياء الشعبية دون تمييز ، وقد جرى التمييز فيما بعد بشكل متعمد وبناء على أوامر مشددة من السلطة وذلك رغبة في احداث انشقاق بين أفراد الشعب الواحد .

ومن خلال هذا المتنفس الذي اتاحه وجود المليشيا الشعبية المسلحة جرت محاولات عديدة لبعث الحركة الوطنية الاردنية واعادة تنظيم صفوفها التي مزقها النظام شر ممزق خلال الفترة السابقة ، وكان واضحا ان نقمة النظام كانت تشتد على الحركة الفلسطينية بنسبة مطردة مع ازدياد النشاط الوطني الاردني في العمل الفلسطيني . وكان اشتراك عناصر وطنية اردنية في المجلس الوطني الفلسطيني الاستثنائي الذي عقد في عمان بين ٢٧ — ٢٩ آب ١٩٧٠ وما أعقبه من عقد اجتماعات للتجمعات المهنية الاردنية في الفترة نفسها عاملا مهما من بين العوامل التي دفعت النظام الاردني الى القيام بمغامرته الهمجية ضد جماهير الشعب والفدائيين .

ج — كان تواجد المليشيا الشعبية والفدائيين بين جماهير الشعب هو الوضع الطبيعي لان الجماهير هي الادغال الحقيقية التي تنشأ فيها الحركات الثورية ومهما قيل في طبيعة الساحة الاردنية فان الوجود الفدائي كان يشكل قاعدة خلفية لا بد منها للعمل على الجبهة الامامية ، اذ كان التواجد في المدن والقرى يؤمن المواصلات والتسليح والذخيرة والتموين كما انه كان ضروريا من أجل استيعاب الافراد الراغبين في التطوع والتعبئة الشعبية بوجه عام . ثم أن وجود اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية فيما بعد كان ضروريا من أجل ممارسة النشاط السياسي والاعلامي بالنسبة للوطن العربي وللعالم الخارجي .

وهنا لا بد من التوقف قليلا لمناقشة النظرة المبالغة في التبسيط التي تقول ما للفدائيين وللمدن والقرى ؟ ليذهبوا الى الحدود فهناك ميدان المعركة الرئيسي والوحيد . ان هذه النظرة متأثرة الى حد بعيد بطبيعة الممارسات الخاطئة للحركة الفدائية ، كما انها متأثرة بتحريفات الدعاوة المعادية . فالقاعدة العامة تقول : ان الثورة لا تنمو الا في تربتها الطبيعية وهي الجماهير وان اية ثورة في العالم تحتاج الى قواعد خلفية . ولنتذكر هنا النشاط الجزائري في تونس والمغرب حيث فرض الجزائريون وجودهم بشتى الوسائل ،